مقالات عن التقوى

الفهرس

فهرس الورقات

(1)

1- ابحث عن القوة في داخلك

لا تكن أسير بطنك، ولا أسير شهوة. ولا تكن أسير هوىً، ولا أسير ضعف داخلي. وكن مترفعا صابرا، صاحب عزم. وستجد في نفسك قوة مذخورة لم تتوقعها .

هكذا يخرجك القرآن، وهكذا يدربك، ويذكّرك..

ومن ثم ستجد في نفسك قوة أن تخالف هواك، وتطهر سريرتك، وتصلح عيبك، وتواجه نفسك وضعفها وعيوبها..

مواجهة من الداخل كمواجهة الجوع الكامن. ضعف كضعف، وكما تغلبت على نوع منه؛ فأنت قادر على مواجهة ضعفك الآخر..

بداخلك قوة؛ فاظفر بها، واستعن بالله، لتصل الى حالى التقوى ﴿لعلكم تتقون﴾.

* * *

(2)

2- "النضوج والتقوى"

بينما تمر بك الحياة فإنك تنضج يوما بعد يوم، ويمكن أن تدرك أنك أخطأت في بعض المواقف أو القرارات، وقد يدركك الندم على ذلك؛ وهذا يحدث للجميع.

لكنك، مهما مرت بك الأيام واكتسبت من الخبرات ونضجت في التفكير؛ فلا تندم أبدا على التقوى وطاعة الله تعالى في كل موقف بحسب طاقتك في هذا الموقف. منذ صغرك وطفولتك الى شيخوختك وهرمك.

إن التقوى هي قمة النضج .

إنها النضج الذي تستعمله صغيرا وتصل اليه كبيرا.. (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

إن التقوى نضوج كبير وهي فوز عظيم.

* * *

(3)

3- "التقوى شيء ثمين"

التقوى شيء ثمين. لأنها خلاصة إنسان، مر عبر مخاوفه فاتقَى الله رغم المخاوف. ومرَّ عبر غضبه؛ فاتقى الله رغم الغضب.

ومرت التقوى عبر شهواته فاتقى الله رغم الشهوة ولذع سياطها ورغم ضغوطها. ومرت عبر احتياجاته؛ فاتقى الله رغم الاحتياج.

ومرت عبر أهوائه فأجاب نداء ربه العلوي على وساوس نفسه وهواه.

التقوى خلاصة اختيارات صائبة؛ استمع فيها العبد الى اختيارات السماء وندائها وحب فطرته للسمو والتطهر. فاختار الطاعة وترك المحرم، رغم الخوف أو الغضب، ورغم الشهوة أو الاحتياج، ورغم الهوى الشرس في النفوس.

التقوى شيء ثمين؛ بل هي أثمن ما تفوز به؛ فكافِحْ من أجله، ثم احتفظ به ما بقيت.. فإنها أفضل ما تلقى الله به. وتذكر جيدا (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

* * *

(4)

4- أنت أنت .. والتقوى!

التقوى ليست مجرد أداء عبادات تستر بها شهوات قابعة تعمل في الخفاء، وتداري بها خبثا تنفثه كلما حانت لك فرصة، وتغطي بها لؤما ونذالة ترافقك، وتتزين بها لئلا تفتضح حقائقُ ومقاصدُ سوء.

التقوى هي ذلك الجهد الذي يصل الى حقيقتك فيصلحها ويغيرها. التقوى تواجه بها حقيقتك لتتغير بها بحق.

كل تغيير حقيقي تنجزه؛ فذلك جزء من التقوى. كل ترك حقيقي لمحرمات القلوب والنفوس ومقاصدها وأعمالها؛ فذلك جزء من التقوى. التقوى تتحقق حينما تكون أنت أنت مع الله بحق وبصدق.

جاهد نفسك من أجل ذلك واسْعَ اليه؛ فلن تصل الى شيء أنفس من التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(5)

5- التقوى سعادة عاجلة

كل موقف استعملت فيه التقوى لن تندم عليه ولن تلوم نفسك؛ ولا تقول في شأنه: لو كنت فعلت كذا لكان كذا .

بل لو ندمت فإنما الندم على المعصية؛ بالتفريط أو التعدي أو الاستعجال أو الغضب أو الشهوة. أما التقوى فتمنع من كل هذا. وهي الحالة التي كلما مر بك العمر تنظر اليها براحة وسعادة، ولا تريد التعديل عليها إلا بمزيد من التقوى.

إن التقوى فوز عظيم وسعادة عاجلة، يرافقك هذا الفوز وتلك السعادة في كل لحظة، في الدنيا والآخرة..

اتق الله ولن تندم أبدا..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(6)

6- الكبر والوحل واللؤم؛ كيف يكون تقيا..؟!

التقوى خضوع وانكسار لله. فلا تُبقي كبرا. التقوى خوف من الله ورؤية للتقصير فلا يرى صاحبها لنفسه فضلا على الغير. بل يشغله الخوف من ربه. والخوف على نفسه. فكيف يكون المتكبر تقيا..؟

التقوى وضوح مع الرب وتركٌ من أجله وعمل من أجله؛ فلا تُبقي خبثا ولا لؤما. التقيّ شخصٌ نقيّ. فكيف يكون المتلوث تقيا..؟

التقوى طهارة تغسل قاذورات القلوب ودخان النفوس؛ فكيف تعيش التقوى مع من ينزلون الى الوحل..؟

التقوى تنافي الكبر كما تنافي الخبث واللؤم. التقوى تُخرج شخصا سويا، متواضعا، نقيا..

جدير بالعبد أن يتطلع الى هذا النموذج؛ فإن لم يكن فليراجع نفسه، وهو يتلو ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(7)

7- "ملبس رائع ورداء مميز"

للإنسان صورتان؛ صورة الجسد ويستره ملبس مادي بسيط. وصورة النفس والقلب والأخلاق، تستره التقوى وتزينه أو يقبحه الفجور ويشينه.

يمكن للإنسان أن يتزين بما ليس فيه، ويلبس ما يشاء من ملابس الزور؛ إلا رداء التقوى وزينته؛ فإنه لا يُرتدى من الخارج بل ينبع من داخلك فيكسوك.

ورداء التقوى أنفس كساء، وأعظمه زينة وبهاءً.

لا خداع لله ولا للخلق برداء التقوى؛ فمن ظن خداع الخلق فقد أخفق؛ فالله يُري الناس حقيقة العبد ولو بعد حين ..

التقوى رداء الصادقين؛ فكن منهم يا عبد الله ويا أَمة الله.. فمُهلة الحياة فرصة ثمينة لأثمن رداء وأغلى زينة؛ زينة التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

* * *

(8)

8- حساسية التقي ومراقبته لربه

قال عمر لأبيّ بن كعب: ما التقوى؟ قال أسلكت طريقا فيه شوك؟ قال نعم، قال فما فعلت؟ قال: شمّرتُ واجتهدت. قال فذلك التقوى.

التقوى هي الحذر والحساسية، والنظر الى مواقع الأقدام، ومراقبة القول والعمل والموقف وأثر الكلمة وأثر العمل وأثر الموقف.

التقي حساس لكل لكمة يقولها؛ مراقب لكل عمل يعمله. وهو مراقبٌ لأثر عمله؛ يخشى أن يموت ويبقى أثر المعصية، ويسعى لأن يموت ويبقى أثرٌ صالح.

قد يفرح الفاجر بالحصول على المحرم، أما التقي فلا يفرح بمحرم، بل تمر مشاعره عبر شريعة ربه؛ فإن أباحت له استمتع وفرح؛ وإلا تراجع وأحجم.

إن الذي يعمل ولا يبالي، ويتكلم ولا يبالي ففاجر أو منافق، وهو غافل ساهٍ لاهٍ لا يعمل للآخرة حسابا.

إن التقي قد وضع الآخرة أولا. وبها ومنها رأى الحياة ورأى الناس ووزن الدنيا وأعطى لكل شيء مقدارا وقيمة.

يحمل التقي اليوم هَمّ وثقل الكلمة والعمل والموقف وآثار العمل؛ ليخف عليه الأمر يوم القيامة ويَشرف يوم يأتي لربه وفدا كريما، يسطع نوره ويظهر شرفه للعالمين.. فيا بؤس من باع غدا باليوم.

خليق بك أن تبحث عن التقوى؛ فالله خلقنا من أجلها؛ فإنها العبودية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(9)

9- سبب حضور التقوى أو غيابها

وما الفرق بين التقي والفاجر إلا في حضور الآخرة وغيابها..؟

فمن رأى الآخرة قريبة وآتية بخلاف من استبعدها ورآها بعيدة (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا). (يسأل أيان يوم القيامة) وهو سؤال عن البعيد. وكم من فاجر يقر بالآخرة لكنه يراها بعيدة؛ ويرتب تصرفا وأملا أنه إن حضرت فهو ناجٍ؛ وكأنها في جيبه! حتى تفاجئه بهولها..! وتسقط ترتيباته وأمانيه أمام الحقائق والقوانين الربانية.

لقد خاف المرسلون وهم معصومون. ثم تأتي لغارق في المعاصي وتراه آمنا.. إنه والله العجب.

كلما خِفْت الآخرة ارتفع قدرك وعلا مقامك. وكلما أهملتها وأخرتها ونسيتها حططت من قدرك، وصغرت من شأنك .

إن من اصطفاهم الله بالعلم والعمل أخبر أنهم اصطُفوا بتذكرهم الدائم للآخرة (إنا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار).

بينك وبين هول الآخرة لحظة، فُجاءة، أو في منام، أو في عبور طريق، أو مرض مخوف.. فتجد نفسك هناك قد انقطع صخب الدنيا وأحداثها؛ وصرت في عالم الحق وأتتك الوعود وأصبح الغيب شهادة؛ فاتق الله وكن مع المتقين ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(10)

10- خسائر التقي.. ومكاسبه

للتقيّ صفقاته..!

فهو يرى في المعصية خسرانا كبيرا؛ مهما كان فيها من شهوات لامعة وأهواء لافتة ومتعة عاجلة وتنافُس الناس عليها.. وذلك من أجل الفوز في غدِ.

ويرى في الطاعة مكسبا مهما كانت كلفتها وجهدها وبذله فيها لماله وعمره وجهده، بل ومشاعره.. وذلك خوفا من التفريط وخسارة غدِ.

ميزانه هو ذلك الميزان الضخم ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (*) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

فاجتهد اليوم من أجل مكسب غد؛ فهكذا تكون الحياة والأفعال والمواقف؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

11- التقوى لين وشدة

التقوى ليست لينا فقط؛ بل هي لين في موضعه وشدة في موضعها.

التقوى ليست رفقا فقط؛ بل رفق الى حده وحسم في محله. فمن الشرور ما يجب ان يواجهها العبد بحسم وقطع لدابرها، وهي ليست خروجا عن التقوى بل هي استعمال لها.

التقوى قمة الأخلاق، وهي أيضا استعمال مختلف الوسائل لتحقيق أصلح الأحوال لصلاح النفس والخلق، ولمنع الشرور، ولحفظ الأديان والدماء والأموال والأعراض والنسل ومصالح الخلق. ولوأد الضرر في محله وعدم تعديه الى الناس.

ومن لم يفهم هذا فاته الكثير باسم التقوى؛ وهو ليس كذلك..!

أرأيت أكثر من مثل هذه الآية التي تأمر بالغلظة في موضع ومع الغلظة التقوى..! لينبه أنها جزء من التقوى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

فجدير بالعبد البصير أن يتدبر ما يفهمه عن التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(12)

12- وهل تتم التقوى إلا بالصبر..؟

لا تتم التقوى إلا بالصبر.. فالطاعة تحتاج الى صبر لبذل الجهد، وللدوام عليه، ولترك العوائق والشواغل والمغريات، ولمقاومة الفتور..

وترك المعصية يحتاج الى صبر لمقاومة الأهواء والشهوات والنزوات وقوى الغضب، وقوى الانفلات..

وما يعترض التقيّ من عوارض وبلاءات تحتاج الى صبر للقيام بالمأمور فيها..

لهذا قال تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾..

فالإمساك بطرف الحق لا يعني أنك وصلت بل يعني أنك عرفت الطريق ورأيت بدايته. لكن لا يتم الوصول الا بالصبر، لكي تقطع الطريق الى نهايته؛ وهناك تجد الله تعالى.. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(13)

13- صورة التقوى

ثمة خلل في صورة التقوى المأمور بها..

إن التقوى ليست دروشة، وليست سذاجة؛ فإن من أوامرها الذكاء وحسن التصرف واختيار أحسن الحلول. قال صلى الله عليه وسلم "عليك بالكَيْس" والكَيْس هو الفطنة والذكاء وحسن التصرف واختيار أحسن البدائل.

ومن التقصير في حسن التصرف ما قد يدخل في اللوم الشرعي.

التقوى ليس عفوا دائما؛ فإن إمام الأتقياء انتقم من أشخاص وعفا عن آخرين. واقتص من أشخاص وترك لآخرين. ورغّب في العفو في أحوال وأمر بالعقوبة في أحوال أخرى. إنما الأمر منوط بتحقيق المصالح بتجرد لله تعالى ..

أَدركْ مفهوم التقوى يا عبد الله، وكن بها بصيرا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(14)

14- هل يتعثر التقي..؟

لا يُمدح الرجل بعدم اقترافه للمعصية فقط؛ بل يمدح أيضا بعدم استقراره على معصية لو وقع فيها.. ومَن من الناس لا يخطئ..؟!

حتى الأنبياء وقع بعضهم فيما عوتبوا عليه، وتابوا، وكانوا بعد التوبة خيرا منهم قبلها.. وذكر تعالى عن سليمان ودادود أن كلا منهما: ﴿أواب﴾..

والأواب هو الرجاع إلى الله، يعود في كل وقت؛ مرة بعد مرة، وحينا بعد حين..

التقي هو ذلك الرجل الذي لا يرضى ان يقر على معصيه ولا يرضى بالتلوث بنجاسة المعاصي وقاذرات الذنوب؛ بل يتطهر عاجلا دون تريث..

فهو دائم التطهر؛ أولئك الأتقياء..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(15)

15- هل يظهر الأتقياء..؟

قد يكون التقي إماما معروفا بتقواه، ويقتدي به الناس؛ فالإمام هو من يؤتم به في الخير.

وقد يكون بعض الأتقياء أخفياء عن الخلق لا يفطن الناس لهم. ولهم من المهابة والمحبة ما يقسمه الله لهم، ولكن لا يعلم الناس مقدارهم عند الله تعالى لبساطة حالهم وتواضع مظهرهم. وقد يخفيهم الله تعالى عن عيون الخلق، صيانة لأعمالهم.

ففي الإظهار لبعضهم مصلحة الاقتداء. وفي إخفاء بعضهم مصلحة الحفظ والصيانة للسر والعمل الخفي. ومقدار العمل الخفي عظيم عند الله تعالى.

وإن بساطة إنسان لا تقلل من قيمته فإن الأوزان والأقدار تعاد قسمتها يوم القيامة؛ فيتفاجأ الخلق بنور وشرف بعض الأخفياء.

والتقي لا يتطلع للعيون أن تراه، ولا للآذان أن تسمعه. فهو يستغني بسمع الله له عن سمع غيره، وببصر الله له عن بصر غيره، وبذكر الله له عن ذكر غيره .

فيا سالك الطريق الى ربه، ابحث عن التقوى واظفر بها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(16)

16- في قلوب الأتقياء

لا تتم التقوى في قلب عبد إلا إذا أخلص لربه؛ فالتقوى لا تنزل في قلب مرائي ولا تَعْمُره.

والإخلاص مبني على اليقين، اليقين بالله واليوم الآخر، ثم تفريد المطلوب سبحانه وتعالى فيطلب العبد ربه لا غيره..

ولا يمكن ادعاء الإخلاص؛ فادعاؤه سريع السقوط سريع الانكشاف؛ فيكشف الخلق سريعا زيف الادعاء، وتعرفه قلوبهم فورا وتحس كذبه بعمق لا يدفعونه عن نفوسهم؛ فالناس تعرف المرائي صاحب لفت الأنظار والأسماع ومريد أخذ "اللقطة"، وتفرق بينه وبين مبتغي الدار الآخرة .

والإخلاص بكل بساطة هو أن تريد الله لا غيره، وتسعى اليه لا الى غيره، وأن تقصده لا تقصد سواه، تريد مرضاته لا مرضاة غيره، وتخاف سخطه لا سخط غيره..

الإخلاص أن تريد نظره اليك لا نظر غيره، وسمعه لا سمع غيره. أن تستغني بحبه عن حب غيره، وبمرضاته عن مرضاة غيره، وبثنائه عن ثناء غيره.

فالظلام والنور عند المخلص سواء. والاجتماع والانفراد عنده سواء. ومدح الناس وذمهم سيان. المخلص سعيد في راحة من الدنيا، وهو سعيد رفيع الشأن يوم يقوم الأشهاد .

في قلوب المخلصين تنزل التقوى، وهناك تَعْمُرها. فالعبادات وحفظ الحرمات والقيام بالواجبات مهيئات للتقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

17- "انكسار الأتقياء"

ولا تتم التقوى إلا بالإنكسار لله تعالى..

والانكسار لله ليس تحدب الظهر، ولا جرجرة الأقدام، ولا القسمات المصطنعة على الوجه..

إنما الانكسار لله تعالى أن تؤثر مراد الله الديني على مراد نفسك؛ فتطيع أمره وتؤثره على شهوتك وهواك، وتؤثره على نفسك وغضبك؛ وتكون شهوتك وهواك ومراد نفسك وغضبك؛ تابعا لأمره ومأخوذا من تحت إذنه..

فتنكسر الشهوة لله، وينكسر الهوى لله، وينكسر الغضب لله، وينكسر مراد النفوس؛ ينكسر كل هذا من أجل مراد الله تعالى الديني بطاعة أمره الذي شرعه، باطنا وظاهرا..

وهؤلاء جاء فيهم سؤال موسى لربه: أين أجدك؟ فقال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي. أقترب إليهم كل يوم شبرا؛ ولولا ذلك لاحترقت قلوبهم..

عن هذا الحال فابحث يا عبد الله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(18)

18- "سجود الأتقياء"

لا يسجد التقي لله بهيكل بدنه فقط؛ ولكنه عندما يسجد لله تسجد عظامه، ويسجد لحمه ودمه، وتسجد أنفاسه..

يسجد قلبه ويسجد مخ عظامه؛ تسجد إراداته لربه ..

عندما يسجد التقي تسجد معه شهواته لله، ويسجد غضبه لله، وتسجد احتياجاته وهمومه، وتسجد رغباته..

إن سجود الأتقياء عميق وصادق..

أيها الباحث عن النجاة، وعن السعادة، وعن ربه؛ ابحث عن ذلك السجود لعلك تلحق بالمتقين. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(19)

19- هل يخاف المتقون..؟

وهل التقوى إلا الخوف من الله..؟ لقد اشتُق اسمها من الوقاية والتوقي من غضب الله وسخطه وعقابه. لتجعل بينك وبين النار وقاية.

ولقد خوّف الله عباده بعقابه ليتقوه ﴿ذلك يخوف الله به عباده يا عبادِ فاتقونِ﴾. وهذا من نعم الله؛ أن يخوف عباده لينالوا السعادة.

والخوف من الله حق، فليس من أحد أعظم مقاما وأجلّ وأعظم سلطانا وملكا من الله. وليس من أحد يملك عقوبة كما يملكها الله ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾.

والخوف من الله حق؛ لأنه لا أحد من العباد يقوم بحق الله على وجه المقابلة هذا مقابل ذاك فيوفي. إطلاقا؛ بل حق الربوبية أعظم من أن يوفيه أحد. ولهذا لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

والخوف من الله واجب عظيم؛ فعذابه لا يدانيه عذاب ولا يشبهه عذاب، وهو عذاب غير مأمون ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون﴾. فكيف يأمن عذابَ الله إلا مخدوع..؟ فإذا عصى وهو آمِنٌ فهذه وصفة للهلاك. اتق الله واجعل غايتك النجاة من عذابه.

الخوف من الله حق عظيم فقد جعل الله النجاة من عذابه فوزا مبينا. ﴿قل إن أخاف إن عصيتُ ربي عذاب يوم عظيم من يُصرفْ عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾. وجعل الزحزحة عن عذابه فوزا مطلقا ﴿فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز﴾ .

فمن لم يتدبر هذا حرم نفسه من خير كثير مدعيا أنه يحب فقط ولا يخاف..!

فالله كما هو محبوب فهو الجليل المرهوب. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

20- الخوف من الله شرف للمتقين

والخوف من الله شرف. فقد خافه رسله، وخافه خاتمهم رسوله محمد، وأمهات المؤمنين، وخيرة أصحاب النبي.

وذكر تعالى وعيده لرسله على الشرك، مع أنهم معصومون، ليبين عظمة الجريمة.

وذكر وعيده لرسوله على الاستجابة لفتنة المشركين، مع عصمته؛ ليبين عظمة الأمر ومفارقة المشركين.

وذكر وعيده لأمهات المؤمنين على طلب الدنيا وعلى المعصية أو الفاحشة، وقد عصمهن؛ ليبين أنه لا محاباة في الأمر والنهي وأن الشرف ينال بطاعة الله.

خوف الأتقياء من ربهم أنتج لهم التقوى، وأكسبهم الشرف، ورفع أجرهم. ومن يستنكف عن الخوف من الله ضل، ومن أغفل الخوف من الله هلك؛ فكما هو المحبوب الذي تذوب له القلوب شوقا؛ فهو المعظَم المرهوب المخوف فلا يستحق الخوفَ غيرُه تعالى.

لقد خافوا ربهم، فعصمهم، ورفع شرفهم وذِكْرهم. ولقد خافوه فارتفعوا وسعِدوا.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(21)

21- الخوف من الله أمان وراحة

خوف الأتقياء من الله يغنيهم عن خوف مَن سواه؛ فقد ذكر تعالى في الخوف منه عبوديتين، وليست عبودية واحدة؛ قال ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ فليس المطلوب الخوف من الله فقط، بل المطلوب أن يكون الخوف منه مغنيا عن الخوف ممن سواه.

فلا أحد جنابُه كجناب الله، ولا أحد سلطانه كسلطان الله، ولا أحد يملك عقابا كعقاب الله؛ فوثاقه لا شبيه له، وعذابه لا نظير له. ألما وبقاءً.. وإن دار غضبه وعدله، النار، قد اجتمع فيها شقاء لم يجتمع مثله. ومن خاف منها فعمل صالحا وصل الى دار السعادة.

من خاف الله وعظُم خوفه منه، وحَّد مخاوفه؛ فكان في راحة من تعدد المخاوف مقللا من وعيد من سواه، جعل الهَم هما واحدا؛ عينه ناظرة الى رب العرش دوما، يرقب رضاه وسخطه، ويرجو رضاه ويخاف غضبه.

كن مرتاحا؛ فإنما الخوف خوف واحد، واتقيه لا تتقي سواه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(22)

22- الخوف من الله دواء للمرضى

كان الكيُّ بالنار، ولا يزال، يشفي العديد بل الكثير من الأمراض.

والخوف من الله تعالى، ومن عقوبته وناره، مصحح للعبد، ومداوٍ لعيوبه؛ فيُخرج إنسانا تقيا وشخصا كاملا وقلبا سليما؛ فكيّ الخوف من الله ولذعه على القلوب يردع المتكبر عن كبره، ويمنع الخبيث عن خبثه، ويروّض من سَورة الشهوة، ويمنع المتآمر المدبر السوء عن قاذوراته..

والخوف من الله مداوٍ لجبن الجبان؛ فإن كل ما يخافه أقل مما يخاف من عذاب الله؛ فيدفعه لمواجهة مخاوف صغرى ليتقي بها مخاوفه الكبرى في جناب الله ويوم القيامة.

والخوف من الله يداوي الأماني الفارغة والوعود الكاذبة؛ فمواجهة الخطر يُسقط تلك الأماني والوعود.

والخوف من الله يمنع خداع الخلق والتلاعب بهم، أو ازدراءهم والتكبر عليهم؛ فالخائف لا يأمن على نفسه؛ فكيف يتعالى على عباد الله وقد يكونون خيرا منه..؟!

كما أن الكيّ بالنار يشفي من كثير من أمراض البدن؛ فالكيّ بالخوف من نار الله وعذابه يشفي كثيرا كثيرا من أمراض القلوب والنفوس؛ فنار الله تطهر في الدنيا القلوب؛ وإلا فهي تطهر في الآخرة بالعذاب .

يا باحثا عن سلامة قلبه من أمراضه، ويا سائلا عن شفاء نفسه من سقامها؛ إن في لذع الخوف من نار الله دواءً لنفسك لتصحّ؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

23- مِن ماذا تخاف وتتقي..؟

إن رؤية ملائكة الموت ومعاينتهم هول عظيم يوجب الخوف. والقبر وضيقه وظلمته موجب للخوف. وما يقدّر فيه على بعض العباد من عقوبات في عالم البرزخ، أشد إخافة..

وهول المطلع وهول المحشر خافه الأولون والآخِرون. والوقوف سنين طويلة في المحشر، انتظارا لبدء الحساب. ثم إذا بدأ الحساب كان لحظة استلام الصحف، ولحظة الميزان وموقف المرور على الصراط؛ أمر تُبذل فيه الدنيا كلها في لحظة وتراها قليلة.

وأما النار فدار الشقاء بكل أنواعه؛ وحدةً وخوفا، ولعنة من الله وغضبا، وعقوبة تستحقها ولوما لنفسك، وتباغض الناس فيها وتلاعنهم وتبرؤهم من بعضهم. ثم ما فيها من ألم للنار أو زمهرير وشدة برد، أو سلاسل وأغلالا في الأعناق وقيودا للأيدي والأرجل، أو عُمُد وتوابيت، أو ظلمة ووحشة، أو حيلولة دون النوم أو الري أو الراحة.. أو عدم رؤية الأمل للنجاة أو التوقف عن العذاب..

وضياع كل ترتيبات التنعم والنجاة..

كل هذا تذكّرُه موجب للتقوى، وعلى الأقل تذْكره بحيث يردعك عن شهوة تتقد أو حقد يتوقد أو غضب خائب أو مكر خبيث أو انحطاط أخلاقي أو أغراض سوء أو كِبْر خائب أو قضايا تافهة أو تنافس دنيء أو متعة محرمة أو تضييع للأعمار فيما لا يفيد، أو تفاهات شاغلة أو فساد عريض أو تعد على الدماء أو الأموال أو الأعراض، أو تلذذ بمعاناة الخلق، أو الترفع على المؤمنين، أو الصد عن سبيل الله، أو تزيين الفاحشة، أو تمجيد التعري، أو الاستهزاء بالدين والسخرية منه ومن أحكامه ومن الغيب، او تشكيك الناس في عقيدتهم. أو إنفاق العمر في الباطل..

تذكر هذا ليوقظك من غفلة وليعيد لك الترتيب الصحيح لهمومك وأشغالك وقضاياك وأحزانك..!

قد تذهب أحزان دنياك وهمومك كلها؛ إذا تذكرت هذا وعلمت أنه الخطر العظيم الذي يهدد كل مخلوق، وعلى مخلوق النجاة منه..

أتعلم..؟ إن هذا قد يسبب لك السعادة في الدنيا؛ إذا كان الهم واحدا. وهو سبب سعادة الآخرة إذا اتقيت الله بحق؛ ولهذا خُلقت ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

24- الخوف من الله بين الطهارة والسعادة

للإنسان طبيعة يعلمها الله تعالى منه؛ وهي أنه إذا خاف عمل، وسارع، وأخرج ما فيه من طاقة وجهد، وتعافى سريعا من أمراضه وخبائثه..

تجد قول الله ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ وتجد قول رسول الله «من خاف أدلج» أي: سار في سفره ليلا، بعدما سار نهارا ليصل الى مقصوده، ثم يكمل الحديث فيقول «ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سعة الله غالية».

وكثيرٌ من الإخفاق، والنفوس العطنة التي تراكمت فيها الأمراض واستفحلت وتلونت وتعمقت؛ غالبها يشعر بالأمان من جناب الله، ويشعر بالأمان من عاقبة ذنوبه؛ فالكثير يفلسف ذنوبه ويبررها، ثم يتمادى الى أن يفلسف ما سيحدث معه يوم القيامة..! وأنه آمِن تماما..!!

ذلك الغرور والخداع يجعل النفس آسنة عطنة، تتراكم فيها الأمراض وتتلون وتتعدد حتى تهلك صاحبها..

بينما الخائف الوجل من ربه تعالى، كثيرُ المراجعة دائم التصحيح، دائم التطهر، وهو أقرب للنقاء، وهو أسرع في العمل وأكثر جهدا؛ وهو الأقرب للوصول الى المنزل، الجنة.

يقول معاذ بن جبل: «يُحبَس الناس يوم القيامة في بقيع واحد، فينادي منادٍ: أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر»..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(25)

25- اللسان لسان خائف، والقلب قلب فاجر..!

قد يدعي من يشاء الخوفَ من الله، وقد يُقرن بادعائه ما يندى له الجبين..!

ولما كان الخوف مشاعر باطنة في القلب وحالة إنسانية؛ رأى البعض، بل الكثير والكثير، أنه يمكنه أن يدعيها. لكن جعل الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، لوازم لهذا الخوف إن وُجدت فالخوف من الله موجود، وإن فُقدت فالخوف هنا ادعاء، وإنما اللسان لسان خائف والقلب قلب فاجر.

إن الكثير من يصف التقوى؛ لكن القليل من يقوم بالتقوى وتقوم به.

والميزان في هذا هو أن يحجزك خوفك عن محارم الله وما يبغضه، باطنا وظاهرا. وأن يحملك على القيام بأمره وما يحبه، باطنا وظاهرا، وأن يُرى أثر الخوف في علاقتك بخلقه وعبيده؛ قائما بحقوقهم؛ باطنا وظاهرا، نقي السريرة لهم باطنا وظاهرا.

الخوف من الله، وخشيته؛ تصحح الأفعال والمقاصد، والظاهر والباطن، والقول والفعل والموقف.

ومن هنا تعرف دقة كلام رسول الله «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك». إنها الخشية التي تردع عن المعصية وتدفع للواجب وتطهّر السرائر وتقيم الظاهر والباطن والغيب والشهادة على أمر الله.

فإن لم تجدها في نفسك ولم تجد أثرها؛ فانظر ما أنت مقدم عليه بعد قليل؛ فقد أوشك سوق الدنيا أن ينفضّ..

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

26- التقوى وتعاملات الخلق

ليس من اختبار حقيقي لوجود التقوى، مثل التعاملات مع الخلق.

إن حقوق الخالق قد يتوب العبد منها بينه وبين ربه، وقد يكون فيها من التسامح من الرب ما ليس في غيرها؛ إلا أن حقوق الخلق شديدة الحساسية؛ فكيف تتوب سرا بينك وبين ربك وفي رقبتك حقوق المخلوقين..؟

إذ لا بد للعباد أن يأخذوا حقوقهم، وهو جزء من التوبة. ومن هنا فمن أهنتهم لا بد أن تكرمهم، ومن شوهت صورتهم لا بد أن تصلحها في كل مجلس أسأت لهم فيه، وعند كل شخص أسأت لهم عنده. ومن أخذت أموالهم لا بد من ردها، ومن تكبرت عليهم لا بد أن تتواضع لهم، ومن اغتبتهم أن تذكرهم بخير في المجالس نفسها. ومن أفتيتهم بغير علم أن تصحح قولك، ومن أضللتهم أن توضح لهم الهدى، وأما الدماء فشأنها عظيم، وأما الأعراض فشأنها أعظم عند الخلق، وهي عظيمة عند الخالق.

وكثيرا ما تتعدد هذه الحقوق، ولا بد من ردها مهما تعددت وإلا ردت يوم القيامة؛ والنار حاضرة تتلمظ لابتلاع المجرمين.

وكثيرا ما تحول النفس بينها وبين التوبة من حقوق الخلق؛ إما لثقلها عليها أو لعدم خوفها من ربها، أو لما برر لنفسه، أو لرفضه أن يتحمل تخطئة نفسه وكسرها لله ولخلقه .

ضاع العبد وابتعدت نجاته وجنته بين الكِبر وبين الأمن الكاذب وبين الهروب من الحقيقة؛ فإذا تنزلت ملائكة الموت فبصرك اليوم حديد يرى الأمور جيدا. وبعض المشهورين بالتفاهات والأغاني مات قريبا وآخر كلمة قالها "الحقوني".. ثم ذهب الى ربه.

هناك من يريد لقيا ربه مطمئنا وأن يعالج أموره هنا. وهناك من يؤجل مشكلته حتى ينزل الى حفر النيران..! عجبا.

بينما من خلقنا قال لنا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

(27)

<u>27- مما يأباه المتقون..</u>

بعض الناس لا يتعامل مع الخلق إلا بعد قصة انتفاخ وكبر تملأ نفسه؛ ثم ينظر الى الخلق مزدريا جميعهم؛ لا يقع إلا على عيوبهم ولا ينظر إلا الى مثالبهم. فلا يرى أحدا إلا بعين الإزدراء، يرى الجميع عنده صغارا وهو أفضلهم..!

وهذا عار على صاحبه؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: «بحسب امريءِ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

ويأبى المتقون هذا الخلُق الوضيع الذميم الذي يملأ العبد بالسيئات. قال ابن عباس ناصحا بعض الناس «لا تزال بك نفسك ترفعك فوق الثريا – أي فوق النجوم – ويضعك الله يوم القيامة تحت أقدام الخلق».

والتقيّ يرى في المسلمين خيرهم ويكنّ لهم الخير، والاحترام.

وبعض الناس يتعامل كأن الله كلفه باستخراج عيوب الناس؛ فلا يرى مخلوقا إلا وبحث فيه عن عيبه؛ ثم انبرى يسرد قائمة بعيوب فلان ثم علان.. قال بعض العلماء عندما سُئل عن رجل عابد لا يترك غيبة الناس فقال «لعل الله تعالى استعمله ليعطي حسناته لغيره» يقصد للذين يغتابهم.

والتقيّ يأبى هذا الخلق الذميم الوضيع؛ وإنما يذكر محاسن الخلق، ولا يذكر السوء إلا لمصلحة تقتضي ذلك اضطرارا.

تلك العيوب الذميمة مما يأبى الله والمتقون.

عندما تتعبد؛ اخرج من عباداتك بمعنى عظيم يدوم ويُصلحك ويغيرك من الأعماق؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *

28- علاقات عبر السماء

علاقات المتقين تمر عبر السماء..

فانطلاقهم للحياة يأتي بإذن من السماء؛ فيحيَوْن على مراد الله الشرعي الديني؛ لعبوديته وتوحيده تحقيقا لمراد الله من حياتنا وخلقنا ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ﴾.

وتوجههم بكل عمل وموقف وقول ونية وقصد هو الى السماء. ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾.

وعلاقاتهم بالخلق تمر عبر السماء؛ فيطلبون مرضاة الله في خلقه، ويتعاملون مع الخلق من أجل الله. ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾.

وطموحاتهم وغاياتهم في السماء ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ أي: الجنة.

ويتعاملون مع ما يصيبهم من عطاء ومنع، ونعم وبلاء، بيد الله تعطي وتمنع وتُنعم وتعدل فدائما هم لربهم يتضرعون واليه يتطلعون.

من هنا في الأرض الى الأفق في السماء يتلقون التكليف والرزق، ويتوجهون بالوجه والقلب والعمل..

علاقاتهم عبر السماء حتى يستقروا ﴿عند ربهم﴾.

تذكر دوما: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

* * *